# التفكير الناقد ودوره في دعم قيم الهوية والمواطنة وتعزيزهما في العقل الليبي

سلطنة فرحات سعد – جامعة السيد محمد بن علي السنوسي – ليبيا

**المُلَّخصُ**

تمر ليبيا بمتغيرات وأحداث كثيرة ومتسارعة متعددة الجوانب تضعها في حرج، ولعل هذه المتغيرات الشائعة في مجتمعنا الليبي اليوم تتطلب منا أن نقف حيالها وقفة جادة للمحافظة على هُويتنا الثقافية، وقيمنا الوطنية. وإن أحد أهم هذه المتغيرات التي طرأت على مجتمعنا حالة التشظي التي وصلت إليها الأسرة الليبية بعد الانفتاح العالمي الجديد، وما جلب معه من ثقافات وأفكار غربية أثرت على الاسرة والمجتمع ككل، ومثال ذلك ما يبث من البرامج والمسلسلات والدعايات والأخبار على القنوات الفضائية هذا فضلا عن شبكة الإنترنت بمواقعها وتنوعها كلها فقد أسهمت في تزويد عقول شبابنا بمعلومات منها المزيف، ومنها المغلوط ومنها المختلط بثقافات أخرى أسهمت في زعزعة روح المواطنة فينا. هذا الأمر يحتم علينا دعم قيم المواطنة والهوية وتعزيزها لدى الفئات الشابة، وذلك من خلال الدورات التوعوية والتثقيفية في كل مؤسسات الدولة وبخاصة التعليمية منها، في كل مراحلها؛ والتركيز على دراسة الظواهر والثقافات الدخيلة التي أحدثت هذا الخلل في البنية الثقافية للمجتمع الليبي والعمل على وضع الآليات المناسبة للوقاية والعلاج لهذه الآثار على المدى القريب والبعيد.

إن دراسة آثار كل هذه المتغيرات المستجدة على العقل الليبي تحتاج إلى عقل وفكر ناقد يقوم بعملية فرز لما يواجهنا من أحداث، فيأخذ منها ما يتفق مع ثقافتنا لكن من دون أن يكون تابعا أومقلدا دون وعي. فنحن بحاجة ملحة للتفكير الناقد؛ لأجل بناء جيل واعٍ يتعاطى مع المتغيرات السريعة، والوافدة سواء أفي ليبيا، أم العالم العربي أجمع. لذا يجب الحرص في بناء ليبيا الجديدة على تفعيل دور الرؤية النقدية التي تبني، وتُسهم في النهوض بالإنسان، وهذا يقع على عاتق النخب الفكرية منها التوعوية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية. فالكل يتوجب عليه المساهمة في البناء الحضاري الجديد لليبيا لتجاوز ما تمر به من اختراقات تهدد قيمة المواطنة فيها.

**الكلمات المفتاحية:** التفكير الناقد، الهوية، المواطنة، العقل

**المقدمة**

وقع اختيارنا على هذا الموضوع للكتابة فيه لما له من أهمية وأبعاد، فالحديث عن الهُوية والمواطنة حديث ذو شجون، فقد كُتبت فيه الكثير من الأبحاث، وطرحت العديد من الرسائل والمناقشات التي تناولها البُحاث والمفكرين تحديداً بعد حالة الضعف التي ظهرت مع بداية الانفتاح، أو ما يسمى بعصر (العولمة)؛ هذا العصر الذي أصبحت فيه الهُوية والمواطنة مهددة في كل المجتمعات. فنحن اليوم نتعرض لغزو فكري من الخارج ينخر مجتمعاتنا ممن يحقدون على الإسلام ويحاولون زعزعته، ولعل أبرز هذه التحديات، وأخطرها انعدام الهُوية الوطنية التي تُعد انعدام للذاتية، وهنا يتعاظم القلق حول مصير هويتنا التي تمثل ثقافتنا، وعقولنا، ولغتنا ومكونات حضارتنا لذا يتوجب علينا أن نتعامل مع الأمر بكل جدية؛ لنتخلص من التبعية، التي تجرنا إلى الانعدامية، وهذا ما تسعى إليه كل التيارات الفكرية الغربية الوافدة. كما قال الله سبحانه وتعالى عنهم: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون"*. القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية(32).

**اختيار الموضوع:** أصبح العالم اليوم أكثر تعقيداً وتواجهه تحديات كبيرة لذا فالحاجة ملحة أكثر من ذي قبل للتفكير الناقد الذي يضمن توازن القيم لدينا بعد ما فرضته دول العالم الآخر علينا من تسرب تكنولوجيا المعلومات، وثورة الاتصالات إلى كل مناحي الحياة إذ أصبحت الأجيال تنجذب إلى هذا التطور الهائل من خلال ما يبث على كل وسائل التواصل السريعة والمتقدمة، والتي لا نعلم مدى تأثيرها على فقدان الهوية الوطنية في العقل الليبي.

**مشكلة الدراسة:** باتت وسائل التواصل تُشكل نظام حياتنا اليومية بشكل لا يمكن الاستغناء عنه، فهي التي فتحت العقول العربية على الانبهار بالثقافات الغربية الأوروبية، فأصبحنا نتأثر بما نشاهده من ثقافات العالم الاخر، دون ردة فعل منا. لذا وددت أن أوجه العناية لأهمية هذه المشكلة وإيجاد حلول لها.

**أهمية الدراسة:** تتمثل أهمية هذه الدراسة في ضرورة الإحساس بالأزمة التي يعاني منها العقل الليبي اليوم في مسألة الانتماء للوطن، وهو ما يدعونا إلى نقد طريقة تفكيرنا السطحية، واستبدالها بالنقدية، لإصلاح ما يمكن إصلاحه داخل مجتمعنا الليبي، خصوصاً بعد الأحداث التي تجري على الساحة الليبية، وما يواكبها من تغيرات تضطرنا إلى طرح عدة تساؤلات منها:

- ما الوسيلة التي يمكن بها أن ندعم، ونُعزز الهُوية الوطنية الليبية في العقل الليبي؟
- ما مدى حرصنا على عقلية أجيالنا الجديدة التي تتعرض للغزو على نحو سريع ومتواتر؟
- من الذي تقع على عاتقه مهمة الحفاظ على الهُوية الوطنية الليبية للأجيال المتعاقبة؟

**أهداف الدراسة:**
- إيجاد بيئة تعليمية معاصرة تُنمي قيم المواطنة الليبية، والقيم الإسلامية في العقل الليبي.
- ضمان بيئة تربوية غير تقليدية تعززُ الانتماء للوطن والتمسك بقيمه.

**المنهجية المعتمدة:** للتحقق من الأهداف المرجوة في هذه الدراسة اعتمدت الباحثة المنهجية التحليلية النقدية بما يتناسب، وموضوع البحث.

**الدراسات السابقة:** توجد الكثير من الأبحاث، والدراسات، والرسائل التي ناقشت قضية (الهُوية والمواطنة) وأبعادها المختلفة في ليبيا، والعالم العربي أجمع. مما يصعب حصرها هنا، لكن من خلال هذا الدراسة ستحاول الباحثة تناول الموضوع من جانب مختلف عن الدراسات السابقة إلا و هو ربط التفكير الناقد بقضية الهُوية والمواطنة في العقل الليبي للتمسك بها في وجه التحديات الراهنة.

**الفصل الأول: التفكير الناقد**

نظرا لما للمفاهيم من دلالة مهمة في تحديد وضبط المعاني، وتجنبًا للخلط بين المسميات، فهذه المفاهيم هي التي تحدد الغايات التي نسعى إليها، فاستيضاح هذه المفاهيم ضرورة ملحة لمن يرغب في فهم ما يُبحث عنه، وهي واجبة في كل زمان، ومكان لما لها من أهمية في أدوار التحول السريع. فللمفهوم قدرة على فك الكثير من المغالطات والإشكالات في كل مجالات البحث لكي يمكننا من التعبير بدقة عن القضايا التي نبحث عنها بحيث نصل إلى معرفة سليمة، فكل مرحلة من مراحل التطور لها سياقها المفهومي الخاص بها الذي لابد من مراعاته؛ ومن هنا سنتطرق للمفاهيم المستخدمة في هذه الدراسة وهي كالآتي:

**المبحث الأول/ مفهوم التفكير الناقد لغةً:**

جاء في المعجم الوسيط فَكر في الأمر فكراً: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، (أفكر) في الأمر: فكر فيه فهو مفكر (فكّر) في الأمر: مبالغة في فكر، وهو أشيع في الاستعمال من فكر، وفي المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلّها. (الفكر): إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول.

أما الناقد فمن نقد: ونقد الشيء نقداً: نقده ليختبره، أو ليميز جيّده من رديئه يقال: نقد الطائر الفخ، ونقدت رأسه بإصَبعي، وغيرهما نقداً وتنقاداً، ويقال (ناقده): ناقشه في الأمر[1]. وجاء في مادة (ف.ك.ر) أنها تعني التدبر، والإمعان العميق والبعيد فيما يحدث ويقع، والتفكير تفعيل، أي: الزيادة في التركيز لما يجري، جاء التفكر في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: "أفلا يتفكرون"، سورة الأنعام، الآية (50) وهناك مصطلح آخر يقاربه وهو التدبر، إلا أنه – أي التدبير – يأتي بعد التفكير، لأنه يحصل نتيجة الأول فلا تدبر دون تفكير[2].

[1]- المعجم الوسيط، 2014م، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، (ط4) ص 318.
[2]- أبن منظور، 1999م، لسان العرب: دار إحياء التراث، بيروت، (ط3) , 307/1.

**مفهوم التفكير الناقد اصطلاحاً:**

اهتم بمفهوم التفكير الناقد الكثير من العلماء في العديد من التخصصات، ما نتج عنه العديد من التعريفات وفق الرؤى المختلفة لعلماء البيولوجيا، والفسيولوجيا، وعلماء النفس والتربية، فقد عرفه البيولوجيين على أنه: "عبارة عن المحاولات التي تبذل من قبل الكائن الحي في سبيل حل المشكلات، والتغلب على الصعوبات، والعقبات التي تحول دون تكيفه مع البيئة". كمِا يعد التفكير الناقد عملية من العمليات، والخطوات التي تؤدي في النهاية إلى حل مشكلة ما، أو بناء خطة، والتفكير سلوك يأتي من خلال تفاعل الفرد مع بيئته، وتأثره بها ومحاولته المستمرة في التعامل مع المواقف، والمشكلات التي يواجهها وهو قدرة من القدرات التي يشتمل عليها التنظيم العقلي المعرفي للفرد، ويعتمد إلى حد ما على قدرة الفرد العقلية[3].

ويعد التفكير سمة من السمات التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، وهو مفهوم تعددت أبعاده، واختلفت عليه الآراء، وهوما يعكس تعقد العقل البشري وتشعب عملياته، حيث يتم التفكير من خلال سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله من خلال حاسة واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة المعروفة، ويتضمن التفكير البحث عن معنى، ويتطلب التوصل إليه تأملاً وإمعان النظر في مكونات الموقف أو الخبرة التي يمر بها الفرد[4].

ومن خلال التفكير يتعامل الإنسان مع الأشياء التي تحيط به في بيئته، و في الوقت ذاته يعالج كذلك المواقف التي تواجهه من دون إجراء فعل ظاهري، فالتفكير سلوك يستخدم الأفكار والتمثيلات الرمزية للأشياء والأحداث غير الحاضرة أي التي يمكن تذكرها، أو تصورها، أو تخيلها[5].

يحتل التفكير الناقد حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين والتربويين؛ نظراً لأهميته في العصر الحالي فهو يمثل نمطاً من أنماط التفكير الهامة التي يلجأ إليها الفرد في تعامله مع الكثير من المواقف، والمثيرات والتحديات، ويدخل هذا التفكير في الكثير من المجالات الفكرية، والعلمية والاجتماعية والتربوية والأدبية ... الخ ومن خلال استعراض التعريفات المختلفة المنشورة في أدبيات التفكير الناقد، يلاحظ أن الباحثين يختلفون في تحديد مفهوم التفكير الناقد، وقد يرجع ذلك إلى اختلاف مناحي الباحثين واهتماماتهم العلمية[6].

---

[3]- منقول بتصرف: محمد عبدالسلام، 2020، التفكير الناقد، دراسة نظرية وتطبيقات عربية وعالمية، مكتبة النور، ص (13/10).

[4]- المرجع السابق، ص(6)

[5]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[6]- منقول بتصرف: عصام زكريا جميل، 2012م، المنطق والتفكير الناقد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط (1) ص (195)

أصبحت مهارات التفكير الناقد موضوعا رئيسيا في التعليم المعاصر، فامتلاك الفرد القدرات التفكيرية الناقدة يرتبط بسلسلة من المخرجات العقلية الإيجابية، ومنها: معالجة المشاكل، والمقارنة، والاستدلال، والتحليل المنطقي، واقتراح البدائل، فقدرة الفرد على التفكير الناقد أصبحت مطلباً رئيسياً لجميع الفئات في المجتمع؛ إذ أن الفرد الممتلك لمهارات التفكير الناقد يكون مستقلاً في تفكيره، وقادراً على اتخاذ قرارات صائبة، كما يدعم أو يرفض ما يستجد من تغيرات للأنظمة الاجتماعية والسياسية وغيرها في محيطه[7].

ويمكن التمييز بين معنيين للتفكير الناقد، إذ أن ــ الأفراد ـ الذين يستخدمون مهارتهم في التحليل، والمحاورة يهدفون من وراء ذلك إلى مهاجمة وتقليل أهمية آراء أولئك الذين لا يتفقون معهم، إنما يمارسون المعنى الضعيف من التفكير الناقد. أما التفكير الناقد ذي المعنى القوي، فهو الذي يحرر الفرد من حالة العجز من إدراك وجهات نظر الآخرين، ويدرك ضرورة وضع افتراضاته وأفكاره موضع اختبار وفحص قوي[8].

**المبحث الثاني/ مفهوم الهُوية والمواطنة**

**مفهوم الهُوية لغةً:**

مصطلح "الهُوية" ليس عربياً في أصله، وإنما أضطر إليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، بمعنى الذي يدل على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهرة، وهو حرف (هو)[9]. فالهُوية (بفتح الهاء) تعني على صعيد المعاجم، وكما جاء في (لسان العرب) (المزية) البئر بعيدة المهوان، والهوة، البئر أو الحفرة البعيدة القعر[10]. كما يرى المفكر نجيب الحصادي*: "أن الهُوية بصمة الروح، قطرة من نداها، وقبس من سناها وفاقد هُويته أشبه ما يكون بجرم انزاح عن مساره، لا وجهة يؤمّها، ولا فلك يسبح في مداره"[11].

---

[7]- على سامي الحلاق، 2007م، اللغة والتفكير الناقد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط (1) ص (27)

[8]- عصام زكريا جميل، المنطق والتفكير الناقد، مرجع سابق، ص (196,197)

[9]- جميل صليبا، 1982م، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ص 530.

[10]- ابن منظور، 2004 م، لسان العرب، المجلد (15)، ط(3)، دراما دار للطباعة والنشر، ص 116-117.

[11]- نجيب الحصادي، 2020م، حساسات التفكير الناقد، مكتبة الكون، طرابلس، القاهرة، ط(1)، ص279.

* أرسطو طاليس نيقوماخوس: ولد 384 ق.م، يوناني الأصل، أول فيلسوف في التاريخ، صنع مذهبًا فكرياً فذاً سيطر على الفكر العالمي أكثر من عشرين قرناً من الزمان للمزيد أنظر: أعلام الفلسفة حياتهم ومذاهبهم، 2011م، مصطفى حسن النشار، دار المسيرة للنشر والطباعة، ط(1)، ص 101. وأنظر: السوفسطيقا، 1980م، ت: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ج (3)، ص 789.

**مفهوم الهُوية اصطلاحاً:**

يعد أرسطو* الفيلسوف اليوناني مؤسس (علم المنطق) أول من تحدث عن الهُوية، إذا رددنا كل شيء إلى أصوله وأركانه الاساسية، فقد وضع ثلاث قواعد للهوية أسماها قوانين الهُوية، ورأى أرسطو أنه يمكن رد قوانين الفكر الأساسية إلي، قانون واحد هو قانون الهُوية فقد عبر أرسطو عن قانون الهُوية بتعبيرات منها: (أهو أ)، و(أ = أ) وهذا يعني بأن الهُوية تعني أن للشيء ذاتية خاصة يحتفظ بها دون تغيير، فالشيء دائما هو- هو، بمعنى أنا الذي كنته أمس وسأكونه غداً، أي أن الهُوية تفترض ثبات الشيء[12]. فالهُوية بهذا المعنى هي مجموعة السمات الثقافية التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يُعرفون ويتميّزون بصفاتهم تلك عمّا سواهم من أفراد الأمم والجماعات الأخرى. وقد تتطور الهُوية بالانفتاح على الغير، وقد تنكمش، وتتحدد، أو تتقلص، تنحصر، أو تنتشر، لكنها دون أدنى شك تغتني بتجارب الناس، ومعاناتهم وانتصاراتهم وآمالهم، وهذه المسألة تتأثر سلباً وإيجاباً بالعلاقة مع الآخر[13]. فالهُوية إذاً وعي الإنسان بذاته، وانتمائه إلى جماعة بشرية قومية أو دينية، مجتمعاً أو أمة، طائفة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام، كما يعرفها حليم بركات "إنها معرفتنا... بما، وأين، ونحن، ومن، وأتينا، وإلى أين نمضي، وبما نريد لأنفسنا وللآخرين، وبموقفنا في خريطة العلاقات والصراعات القائمة "[14].

شغل موضوع الهُوية الوطنية حيزاً غير قليل في الثقافة، والفكر، وفي الدراسات السياسية، والقانونية، والاجتماعية، خصوصاً في ظل الجدل الذي ارتفعت وتيرته منذ ما يزيد على ربع قرن، في إطار مجتمعات متعددة التكوينات والهويات، أو في إطار احتدامات المصالح الدولية والإقليمية[15]. أما الهُوية العربية فتكونت من مجموعة مكونات، قد تزيد أو تنقص، لكنها تتضافر فيما بينها لتطبع الإنسان الذي تتوافر فيه بخصائص واضحة وسمات محددة تتمثل هذه المكونات في

---

* نجيب الحصادي: أستاذ المنطق وفلسفة العلوم بقسم الفلسفة بجامعة بنغازي، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ويسكانسون بالولايات المتحدة الأمريكية، له العديد من المؤلفات والتراجم في حقل الفلسفة. للمزيد أنظر: لالاند، دليل أكسفورد، ت: نجيب الحصادي. وأنظر أيضاً: أوهام الخلط، نجيب الحصادي.

[12]- علي سامي النشار، 2000م، المنطق الصوري من أرسطو حتى عصرنا الحاضر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص77.

[13]- عابد الجابري، 1998م، العولمة والهوية الثقافية، المجلد (20)، العدد (228)، المصدر: المستقبل العربي، بيروت، ص 298.

[14]- عبد الحسين شعبان، 2000م، الهوية والمواطنة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(2)، ص20.

[15]- المرجع السابق، ص 10.

ركائز خمس هي: (الجنس العربي)، (اللغة العربية)، (التاريخ والوطن)، (الثقافة المحلية)، (الدين)، كل هذه الركائز تعد محددات للهُوية العربية[16]. تتضمن في داخلها القدرة على إيجاد وسائل جديدة، وحلول سريعة قادرة على الإبقاء والتشبث بالهُوية الوطنية الليبية لتحقيق أهداف وطموحات المواطن الليبي، ثم المجتمع، والوطن، والدين.

علينا إذاً أن نتمسك بالمحددات التي تحدد ملامحنا لكي نواجه المهددات، والمخاطر التي تجتاحنا، ولعل أول هذه المهددات انتشار وسائل الإعلام المختلفة، وطرق الوصول إليها، بل وحتى طرق استخدامها فكل وسائل التواصل الحديثة، والمتطورة يتم استخدامها من داخل النظام المركب لكل مجتمع منفتح؛ ولعل ما يصل إلينا من ثقافات أخرى توزع بسهولة إلى عقولنا وعقول ابنائنا الذين لا يملكون خيار " الاختيار" بين ما يتماشى معنا وما يمكن أن نرفضه. هنا يجب الاحتماء بملكة العقل ومهاراته النقدية، فمنذ أن اختلطت الثقافات والإيديولوجيات التي تنافس بعضها البعض أصبح البقاء فيها لمن يصل أسرع ويتغلل في فكر الآخر أكثر.

هنا تأتي أهمية التفكر الناقد في الفرز عند مشاهدة ما يعرض عليه من الوسائل الإعلامية التي غيرت في العقل الليبي فأصبح الكثير منا يقتدي بها دون أن يضع حدود أو قيود لما يشاهده. فما يعرف بالمسلسلات المدبلجة، والبرامج الذكية، والتطبيقات الخفية، ساعدت على زعزعة الاخلاق في المجتمع مما سبب في خرق العادات، والقيم الاخلاقية التي كانت أساس وبناء مشيد في العقل الليبي، فهدم الاخلاق المتأصلة فينا يعني هدم للهُوية الوطنية الليبية داخل مجتمعنا الليبي الذي طرأ عليها الكثير من التحول والتغير.

ولو عدنا إلى الواقع قليلاً لشاهدنا هذا التحول، والتغير في أسماء المحال التجارية، والمطاعم، وطريقة بناء البيوت، كذلك استيراد ماركات اجنبية تحمل شعارات لا تليق بنا، ولا يعرف حاملها إلى ماذا ترمز حتى، إنما يتم تداولها تفاخرا باستيرادها. ناهيك عن الاقتداء ببعض المصطلحات الغريبة عن مجتمعنا وأخلاقنا، والتي تؤكد أن هذا التحول طال لغتنا وعاداتنا وتقاليدنا المتعارف عليها

كل ما سبق ذكره لا يعني أننا نرفض الحداثة والتطوير، وإنما نرفض تقليد الغير في كل شيء والانجرار وراءه دون وعي منا؛ لأنه يتنافى مع هويتينا، ويزعزع وطنيّتنا. فمنذ أن حصل الاحتكاك المعروف بين العرب، والغرب عن طريق وسائل التواصل التي كانت ولا تزال وسيلة من وسائل التفاعل بين الحضارتين من خلال ازدياد انتقال الأشياء المادية من الغرب إلى العرب ، زاد انتقال الأحداث مع تقدم الاتصالات، وبدأت الإذاعة تأخذ مكانها بين وسائل الاتصال الفعالة ، وبفضل هذه الوسائل

[16]- منقول بتصرف: عبد الرزاق الراوي، 2013م، كتاب الهوية في الثقافة والخطاب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ط (1)، ص30.

استطاع العرب أن يتعرفوا على العديد من ثقافات غيرهم وحضارتهم، إلى جانب السفر الذي سهل بدوره عملية التفاعل ونقل تقدم الغرب إلى الوطن العربي ةهو ما فعله رفاعة الطهطاوي* وغيره من المفكرين العرب، الأمر الذي ساعد على الانفتاح الفكري والحضاري، وخاصة بعد حركة الترجمة التي من خلالها استطاع الإنسان العربي أن يطلع على أفكار شعوب، وأمم أخرى سواء اتفقنا معها أم اختلفنا[17].

من هنا يمكن القول إن أكثر المهددات التي نواجهها: الإعلام، ووسائل التواصل التي توغلت فينا، فالكثير من الحواجز قد تداعت أن لم تكن سقطت فعلاً وليس قولاً، منذ أن استطاعت تقنيات الاتصال اختراق الزمان، والمكان، فبات من الواضح انهدام جدران الهُوية الوطنية في العقلية الليبية.

**مفهوم المواطنة لغةً:**

جاءت لفظة (مواطنة) في اللغة العربية من (واطن) وهو مزيد الجذر(وطن)، كما جاء في معجم اللغة العربية، فنقرأ (واطن يواطن، مواطنة، فهو مواطن، والمفعول مواطن) واطن القوم: "عاش معهم في وطن واحد" و"مواطن" اسم فاعل من واطن، " نشا معك في وطن واحد" وموطن (مفرد) ج مواطن: اسم مكان من وطن و "وطني" (مفرد) اسم منسوب إلى وطن ومواطنة (مفرد) مصدر "واطن" وهذه الّصيغة هي على (مفاعلة) التي تفيد المشاركة، وتعني الإقامة بالوطن والتعايش فيه مع الآخرين[18]. من هذا التعريف يتضح أن (المواطنة) هنا تفيد المفاعلة بين الوطن والمواطن، وذلك من خلال الحرص على تنميته، وتطويره، والمحافظة عليه من التعدي لتحقيق المواطنة الحقة.

**مفهوم المواطنة اصطلاحاً:**

تعد المواطنة من أهم المفاهيم المكونة للفكر السياسي، والاجتماعي المعاصر، حيث إنها تعبر عن تلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة من ناحية، والفرد وسائر أفراد المجتمع من ناحية أخرى[19]. بمعنى أنها علاقات سياسية (علاقة الفرد بالدولة)، ومدى الصلة بينهما، وبين الوظائف الاجتماعية الأخرى (علاقة الفرد بالمجتمع)، وهذا ما

---

[17]- عاطف العرقي، 1998م، العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، دار قباء للتوزيع والنشر، القاهرة، ص 94.

* رفاعه رافع الطهطاوي: مولده (1801م) هو أديب ومؤرخ ومترجم، ومفكر، وعلامة بارزة من رواد النهضة العلمية والفكرية في القرن التاسع عشر له أثر كبير على العلماء والمفكرين من بعده. للمزيد أنظر: جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، ص11، 12. أيضا: كتاب المرشد الأمين للبنات والبنين.

[18]- مجمع اللغة العربية، 2004م، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (ط4)، مادة "وطن".

[19]- حمدي مهران، 2012م، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط1)، ص16.

يحقق للمواطن العدالة والمساواة الاجتماعية، ووجود ضمانات قانونية تكفل حق المواطنين وتحدد واجباتهم، ومن هنا يمكن القول " بأن ظهور الدولة والمواطنة بشكلها الأكثر تطور قد ارتبط أو تلازم مع تبلور وظهور الدولة القومية)[20].

إن المواطنة ترتبط بالمجتمع، وإن أدت الدولة دوراً بارزاً في تحديد عناصرها وأركانها، وذلك يرجع إلى أن المواطنة نتاج لتفاعل عناصر عديدة في إطار جغرافي يشكل وطناً مستقراً لمجموعة من البشر، بينهم تراث مشترك ناتج عن تفاعلهم مع بعضهم، البعض من ناحية، ومع البيئة المحيطة من ناحية أخرى[21]. إذاً المواطنة هي علاقة بين فرد ودولة، يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات، وحقوق في تلك الدولة. وعند تحقيق قيم المواطنة يمكن أن يتحقق الصالح العام.

لذا يتبلور مفهوم المواطنة من خلال حركة المجتمع، وتطوراته، وتحولاته التاريخية، ومن هذا المنطلق تسهم المواطنة في تشكيل شخصية المواطن، وتعمل على تبادل الحاجات، والمنافع والمسؤوليات ضمن موروث اجتماعي مشترك. وبهذا يصبح الموروث الاجتماعي المشترك حماية وأماناً للوطن وللمواطن، فالمواطن يحتمي به عند الأزمات، ومن ناحية أخرى يدافع عنه عند التحديات[22].

**المبحث الثالث: علاقة الهُوية بالمواطنة**

تعد الهُوية والمواطنة من أهم العلاقات الاجتماعية المتشابكة فيما بينها، القائمة على المعتقدات والقيم الاجتماعية والأخلاقية، الموجهة نحو الفرد الذي يكتسبها منذ ولادته، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي يمر بها في حياته، وذلك من أجل ترسيخ وعيه الاجتماعي والثقافي.

يشير مفهوم المواطنة إلى الانتساب الجغرافي لأفراد المجتمع من خلال بقعة جغرافية محددة تتمثل بالمدينة والدولة وبالوطن الواحد في الوقت الراهن، أما الهُوية فإنها تشير إلى الانتساب الثقافي، أو الانتساب إلى معتقدات وقِيم ومعايير معينة تحددها الثقافات الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، ويكتسبها خلال عملية التنشئة الاجتماعية السوية التي يمر بها في حياته[23]. إذاً المواطنة سلوك يكتسب عندما تتهيأ له الظروف السليمة عند التنشئة، وهي ممارسة لمجموعة من المبادئ

[20]- ليلة علي، 2007م. المجتمع المدني العربي قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط(1)، ص82.

[21]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[22]- علي محمد الصلابي، 2014م، المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة، دار أبن كثير، ط(1)، ص14.

[23]- ثائر رحيم كاظم، 2009م، العولمة والهوية والمواطنة مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد(1)، ص14.

والقواعد في إطار مؤسسات وآليات تضمن ترجمة مفهوم المواطنة على أرض الواقع، من خلال الحصول على الحقوق، والالتزام بالواجبات التي يحددها القانون. وعلى هذا الأساس تكون المواطنة هي الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه، وتسمو به عن العلاقات القبلية والعشائرية والحزبية، ولا خضوع فيها إلا لسيادة القانون، وإن هذه الرابطة لا تنحصر في مجرد الشعور بالانتماء وما يتبع ذلك من عواطف تتجلى إلى جانب الارتباط الوجداني، في إدراك واعتقاد المواطن بأن هناك التزامات وواجبات نحو الوطن لا تتحقق المواطنة دون التقيد بها. وبذلك يتعين وجود سلطة قضائية مستقلة، قادرة على حماية حقوق الأفراد من أي انتهاك سواء من أجهزة الدولة أو الأفراد أنفسهم في علاقاتهم مع بعضهم البعض[24].

إن وجود الشعور بالانتماء شرط جوهري، لأن الشعور بالانتماء يعني تحمل المسؤولية التي تدعم روح المواطنة الصالحة لدى الفرد، فتجعله يضحي ببعض المنافع الخاصة في سبيل المصلحة العامة، فشعور الإنسان بالولاء لمجموعة من البشر، (الأسرة أو القبيلة أو الأمة) يجعله يشعر بمسؤوليته عن مصير هذه الأمة ورفاهيتها، واجتماع الانتماء والمسؤولية لدى جماعة ما يعني اجتماع المواطنة والهُوية، وكذلك تحقيق الأمن والرخاء للوطن[25].

إذاً فالمواطنة شعور ينتاب أعضاء جماعة ما بالانتماء إلى وطن، باعثه مشتركات تجمعهم، تُشكل ما يعُرف بمقومات الهُوية. ويمكن التمييز بين نوعين من مقومات الهُوية الوطنية: مقومات تتساوى فيها الشعوب (بحكم طابعها القيمي والذوقي، كاللغة والدين والتاريخ)؛ ومقومات تتغاير فيها الشعوب (بحكم طابعها الموضوعي والمحايد، كالمنتج الفكري والعلمي والتقني، والفني)[26].

ونظراً لأهمية مفهوم الهُوية والمواطنة اللذين يبرزان علاقة الفرد بالدولة، من حيث الحقوق والواجبات التي يلتزم بها الأفراد في تطوير وعيهم الاجتماعي والثقافي، المبني على أسس وقوانين هي التي تضبط علاقتهم داخل مجتمعهم، (فالهُوية لازمة للمواطنة) لأن المواطنين لابد لهم من نظام سياسي وعلاقات اقتصادية واجتماعية، وقوانين تضبط هذه العلاقات[27].

وحيث إن (المواطنة ترتبط ارتباطا وثيقا بالهُوية)؛ فإن ممارستها توجب أن تكون هويتنا مستقرة، حتى لا نرجع إلى مرجعيات أخرى تشوه واقعنا الليبي،

---

[24]- ثائر رحيم كاظم، العولمة والهوية والمواطنة، مرجع سابق، ص11.

[25]- منقول بتصرف: مصيونة أمحمد الفاخري، 2021م، فلسفة التربية الأخلاقية وديناميكيتها، دار الجابر للطباعة والنشر، بنغازي، ط(1)، ص33.

[26]- منقول بتصرف: نجيب الحصادي، حساسات التفكير الناقد، مرجع سابق، ص281.

[27]- ثائر رحيم كاظم، العولمة والهوية والمواطنة، مرجع سابق، ص14.

وتؤثر على ركائزه الأساسية. إذاً فالهُوية والمواطنة شعوران متلازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فكل منهما يكمّل الآخر، وهما مرتبطان بمعتقدات اجتماعية، وأخلاقية تحددها معايير معينة، اكتسبها الفرد منذ ولادته تأصلت، وتغلغلت في داخله لتؤكد انتماءه لمجتمع ما.

**الفصل الثاني: دعم قيم المواطنة وتعزيزها في العقل الليبي**

إن تاريخ وجود الإنسان على الأرض هو ذات تاريخ فكره ووعيه الذي يترتب عليه تاريخ معرفته، والعكس أيضاً صحيح؛ إذ من المسلّم به أن الإنسان كائن مفكر، ولا يستطيع أن يتوقف عن هذه العملية لحظة واحدة ما بقي على قيد الحياة، بل لا يستطيع أن يجبر نفسه على عدم التفكير، إذ لو أراد ذلك لوجد نفسه في ذات الوضع الذهني الذي يريد الخلاص منه وهو ممارسة فعل التفكُّر. فلا مناص إذاً من السير في هذا الطريق، فهو وجد متفكّراً متأملاً متدبراً كي يحقق رسالته في استخلاف الخالق له في الأرض[28]. كان محور التعليم، فيما مضى، يرتكز على المضمون من تاريخ، وفيزياء، وجغرافيا، وغير ذلك. وبرغم ادّعاء كثير من المعلمين أنهم يفعلون ذلك بطرق غير مباشرة وربما خفيّة من خلال تدريسهم؛ إلا أن المعلمين اليوم يشكّون في جدوى هذه السُبل في تعليم مهارات التفكير، فأكثر الطلاب لا يدركون ما تتضمنه أسئلة مُعلميهم من مهارات تفكير[29].

**المبحث الأول/ التفكير الناقد وعلاقته بتعزيز قيم المواطنة**

إن خاصية التفكير الناقد هي تربية ملكة التفكير الصحيح، أي: تربية ملكة النقد، وتقدير الأفكار، والحكم عليها بالكمال أو النقص، بالصحة أو بالخطأ، يستوي في ذلك ما ظهر من أنواع التفكير في كل مجالات الحياة. نعم قد يقال إن الإنسان يفكر بطبعه، ويدرك الخطأ في تفكيره من غير أن يكون له إلمام بقوانين التفكير المنطقي؛ لكن يتوجب علينا أن نعلل الحوادث والمواقف، والاعتراضات التي تعترضنا، كذلك يجب أن ندافع عن أفكارنا، ومعتقداتنا وأفعالنا، بحيث نلزم بها الخصم إلزاماً، كل ذلك يستلزم منا أن نضبط قوانين الفكر لدينا، وأن نميز صوابها من خطئها وأن نربي ملكة النقد في التفكير[30]. ولا ننسى أيضاً أن للأمة الإسلامية سلاح يمكن به مواجهة غول (العولمة) في جميع جوانبها التي تهدد الهُوية الوطنية، والوجود معاً، وهو أحد جوانب قوتنا المعنوية غير المستثمرة، هذا السلاح هو (الاعتدال) في كل شيء، فالمواجهة الشاملة التي تُحصن الأمة الإسلامية أمام كل هذه التحديات الثقافية الهائلة لابد أن تنبع من داخلنا، ولا يكون

[28]- صالح سعد صالح، 2020م، المعرفة في الفكر الفلسفي، دار جين، البيضاء/ ليبيا، ط(1)، ص7.
[29]- آلك فشر، 2009م، التفكير الناقد، ت: ياسر العيني، دار السيد للنشر، الرياض، ط(1)، ص13.
[30]- عصام زكريا جميل، المنطق والتفكير الناقد، مرجع سابق، ص10.

ذلك إلا بالتربية وبإعمال العقل، والتفكير الناقد لما يستجد من سلوكيات، وأخلاق مخالفه لهُويتنا وعقيدتنا[31]. فلكل شعب مكونات خاصة تميز هُويته عن شعب الآخر أهمها: اللغة والتراث، والثقافة، والزى والفن إلى غير ذلك من الثوابت التي لا يجب أن يطرأ عليها التغير. إن تنمية ملكة التفكير الناقد لدى العقل أداة قوية تساعده على معالجة ما يتعرض له من مهددات يتوجب عليه نقدها، واستبعادها إن كانت تتنافى مع هويته وتزعزع وطنيته.

إن التفكير الناقد ليس موجوداً بالفطرة عند الإنسان ـ فهو مهارة تحتاج إلى مران وتدريب؛ لكنه في الوقت نفسه لا يرتبط بمرحلة عمرية معينة، فكل فرد يملك القدرة على القيام به وفق مستوى قدراته العقلية، والحسية، والتصورية، والمجردة، فالتفكير الناقد يأتي باستخدام مهارات يكون في مقدمتها المنطق[32].

إن التحديات كبيرة، لكن الأمل في التغلب عليها أكبر، فالحفاظ على الروح الوطنية يتطلب منا تنشئة قوية في الأسرة، وفي كل مؤسسات التنشئة التعليمية التي يقع على عاتقها رسالة التعليم، أيضاً التعويل على التشريعات القانونية، ونشر الوعي بقيمة الهُوية الوطنية والدينية التي هي موضع اعتزاز لمن ينتمي إليها، ثم تجسيدها في سلوك الأفراد وإشعارهم بحس المسؤولية تجاهها[33]. كذلك تحقيق أمر الثبات على الهُوية الوطنية والدينية يستوجب صناعة خطط مدروسة بعيدة المدى على مستوى الدولة الليبية، ومن ثم على مستوى الأمة، لأن المصلحة الحقيقية هي في تعاون وتكامل من يشاركوننا العقيدة الإسلامية، والثقافة نفسها، والمصير نفسه والذين يواجهون معاً الأخطار ذاتها[34].

والحال أن دراسة التفكير الناقد تُسهم في تعزيز قيم المواطنة عند استخدام المهارات الذهنية ذات الفعالية، فالتفكير الناقد عملية تفاعل نشط مع ما يكتسب من معتقدات ومعارف. وهكذا تجد أن من شروطها اتخاد قرارات عقلانية بخصوص ما يلزم الاعتقاد به؛ والحضّ على اكتساب مهارات حل المشاكل، وصياغة الاستدلالات، وحساب الاحتمالات؛ و ممارسة عمليات تأملية مستقلة، وإبداء الحرص في قبول الأحكام أو رفضها أو تعليقها؛ وتوصي بالركون إلى العقل بدلا من العاطفة، وتحري الدقة، وأخذ مختلف وجهات النظر في الحسبان[35]. إذاً مشروع التفكير الناقد مشروع تنويري يُرسخ قيم الحياد والتعددية، والموضوعية، والتسامح، والاستقلالية الفكرية في العقل.

---

[31]- عزمي طه السيد، 2008م، مدخل إلى الثقافة الإسلامية، المؤسسة العربية الدولية للنشر، عمان، الأردن، ط(1)، ص262.

[32]- عصام زكريا جميل، المنطق والتفكير الناقد، مرجع سابق، ص21.

[33]- عزمي طه السيد، مدخل إلى الثقافة الإسلامية مرجع سابق، ص202.

[34]- المرجع السابق، ص 273.

[35]- نجيب الحصادي، حساسات التفكير الناقد، مرجع سابق، ص14.

**المبحث الثاني: دعم قيم المواطنة وتعزيزها في العقل الليبي**

تميز عصرنا هذا بمميزات جعلته يختلف عن باقي العصور؛ حيث تميز بعدة خصائص (سبق ذكرها) وصلت لدرجة لم تكن تخطر على قلوب أبناء هذا العصر أنفسهم، بحيث أصبح ما يحدث في بقعة من العالم يشاهده سكان العالم أجمع في اللحظة نفسها. ولا يخفى على أحد أننا نعاصر اليوم تطوراً هائلاً في جميع مجالات العلم والمعرفة. كما نواجه تحديات، وثورات علمية هائلة منها ثورة الاتصالات، والمعلومات الشبكية والتي تبرزُ أننا في حالة عجز أمام تطورها وتسارعها العالمي. بالإضافة إلى تقدم الصناعات القائمة على علم "التكنولوجيا" وبخاصة صناعة التطبيقات المدمرة للعقل، التي وصلت إلى حد أن تكون ألعاباً يتم تداولها على أجهزة التواصل الرقمية، فقد باتت تشكل خطراً يهدد المجتمعات العربية، كما تركزت معها السيادة الحضارية والقوة إلى حد كبير في يد الغرب، وفي مقابل ذلك ضعف الحضارة الإسلامية، وتعرض الثقافات في بلدان العالم العربي للغزو والاستلاب بشتى الأساليب[36]. من هنا انتشر في المجتمعات الإسلامية الولع بتقليد الحضارة الغربية، الأمر الذي يؤكد ما ذكره العلامة ابن خلدون* في المقدمة (أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب). ولعل هذا الولع يتحدد في ليبيا أكثر ويتضح بعد (اندلاع ثورة 17 فبراير) ضمن ما يعرف بموجة (ثورات الربيع العربي) وحالة ليبيا الخاصة التي ترتب عليها الكثير من التعقيد سواء من الناحية الطبيعية للدولة، أو بسبب الانحياز داخل المجتمع الليبي على صعيد القبلية والجهوية. فالوضع الراهن الذي تشهده ليبيا سياسياً أحدث الكثير من التغيرات الداخلية في المجتمع الليبي خلال السنوات الماضية، (فبعد ثورة 17 فبراير)، وما أفرزته من إشكاليات زادت الأمر تفاقماً، وما نتج عنها من انسداد سياسي أعقبه انسداد اجتماعي، وصراعات تسببت في شرخ في الهُوية الوطنية الليبية من شرق وغرب وجنوب، على الرغم من دعوات الجميع بعدم الانقسام، وأن ليبيا لا تقبل القسمة إلا على نفسها. وقد أسهمت تبعية الثورة في تضرر الهُوية في العقل الليبي؛ لأن أزمة الهُوية أبرزت معها انعدام الوطنية، وذلك يظهر جلياً من خلال سلوكيات وأخلاق الأفراد في المجتمع، وما نشهده اليوم على وسائل التواصل من حروب أهلية، وصراعات مذهبية، واتجاهات وأحزاب فكرية مختلفة ضاعت معها معالم الهُوية الليبية يعد أوضح دليل على ذلك.

---

[36]- منقول بتصرف: عزمي طه السيد، 2008م، علم الثقافة الاسلامية، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط (1)، ص 109.

* أنظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، 1858م، مقدمة ابن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت، ج2، ص 510 -511.

ففقدان الهُوية الوطنية يرمز إلى ضعف المجتمع وتبعيته، وعدم قدرته على تحقيق ذاته المستقلة على مستوى الأفراد والجماعات[37]. إذاً تكمن الخطوة الحاسمة في دعم وتعزيز الهُوية الوطنية في العقل الليبي (بالتحصن من الداخل) ذلك لأن الفرد المُحصّن، والمجتمع المُحصّن لا تؤثر فيه الهجمات الخارجية، وفي حين تنفذ بعض التأثيرات من جهة المواضع الضعيفة التحصين فإن تأثيرها سيكون قليلاً وفي حده الأدنى[38] للجهات الأكثر تحصينا. فالحصانة تحتاج تفكيراً، ووعياً بدرجة عالية، خصوصاً أننا في عصر التقدم والتطور الهائل الذي يحتاج إلى خطط استراتيجية قوية ومدعومة للحفاظ على هيبة الوطن وقيمته. ونقصد هنا التفكير النقدي (الاستيعابي) وليس الانتقائي فحسب، أو التقييمي لجانب منه على حساب جانب آخر، إنما المقصود الإدراك والوعي الكامل لحقيقة أزمة الهُوية الليبية التي نعاني من فقدانها.

علينا أن نعي أننا لا يمكن أن ندخل في النسيج الحضاري للغرب حتى وإن استهلكنا البضائع الغربية، وشاهدنا الأفلام الأمريكية إلى غير ذلك من صور الاستهلاك، فروح أي حضارة هي اللغة، والقيم، والدين والعادات والتقاليد، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية، والمسيحية الغربية، والأصول اللاتينية بلغات شعوبها، وونظرتها للفصل بين الدين والدولة، وسيادة القانون والتعددية، في ظل المجتمع المدني والحرية الفردية[39]. كذلك نحن العرب لدينا هُوية وطنية، وقومية عربية، ولغة، وثقافة، ودين ساهمت كلها في تحقيق حضارتنا العربية التي حملت ملامحنا للعالم أجمع. وفي ذلك قال الجاحظ: إن العرب لما كانوا أمة واحدة فاستووا في التربة، وفي اللغة، والشمائل والهمة، وفي الأنفة والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسبكوا سبكًا واحداً، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط، وحين ذلك أشد تشابها في باب الأعمّ والأخصّ وفي باب الوفاق والمباينة من ذوي الأرحام[40].

فالرؤية النقدية تمنع العقل الليبي من التغريب الثقافي، الذي يعمل أصحابه للتغلب على ثقافة الشعوب الأخرى عن طريق (العولمة). فلو عزمنا على أن نرسخ في عقول أطفالنا النشء كيف نحفظ هُويتنا ووطنيتنا بالتزامن مع تطوير مجتمعنا الليبي المتمسك بثقافته الأصيلة، نكون بذلك قد حققنا توزاناً يحفظ لنا مكانتنا وهيبتنا بين الأمم. صحيح أننا وقعنا في شباك العولمة لكن يستطيع أن يجد العقل الليبي

---

[37]- عزمي طه السيد، علم الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص 112.

[38]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[39]- أبن داود العربي، بوزغتيه بأية، إشكالية الهوية والعولمة الثقافية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الملتقى الدولي الأول، عدد خاص، الجزائر، ص 660.

[40]- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، رسائل الجاحظ "مناقب الترك" تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، المجلد الأول، دار الجيل، بيروت، ط(1)، ص 11.

تياراً ثقافياً مضاداً يقف في مواجهة روح الهيمنة التي تضمنتها العولمة فكرة ونظاماً وتطبيقاً. ولأننا أمام قضية مصير، قضية تحديد لهُويتنا الوطنية، قضية أن نكون أو لا نكون. علينا أن نبتعد تماماً عن التفكير الساذج، فقد أسرفنا في السطحية، وهو ما جعلنا في وضع لا نحسد عليه وأصبح أكثر مثقفينا في واد وقضايانا الخاصة في واد آخر[41]. ولأننا في عصر تتصارع فيه القوى المختلفة فإن وجودنا في المستقبل مرهون بأن نبادر باتخاذ موقف من جانبنا ونحدد هُويتنا الوطنية لكي نضمن بقائنا وسط هذه القوى.

**المبحث الثالث: دور الأسرة ومؤسسات التنشئة لتعزيز قيم المواطنة في العقل الليبي**

تعد أزمة الهُوية الوطنية من أبرز الأزمات على الساحة العربية عامة، والليبية خاصة، حيث تسعى الدول والمجتمعات إلى إيجاد حلول لهذه الأزمة لما تمثله من أبعاد تاريخية وثقافية وسياسية. فالدولة الليبية تعاني من أزمة في هُويتها بشكل عام، والثقافية بشكل خاص، وهذا يتطلب أن تعالج من جذورها، وإلا ستصبح مشلولة وعاجزة عن أداء مهامها واجباتها، ومن ثم تفقد شرعيتها في المجتمع الدولي، فبعض الدول أصيبت بخلل واضح في ولاء أبنائها، وهذا ما حدث في العديد من الدول العربية، (ومن بينها ليبيا) كما أن أزمة الهُوية الوطنية الجامعة كانت من أهم أسباب ظهور الصراعات من أجل السلطة في ليبيا، والتي أدت إلى انقسامات اجتماعية، وصراعات أهلية مسلحة، انعكست سلباً على الاستقرار السياسي، والمجتمعي[42].

فالأمر لم يقف عند هذا الحد بل زاد في الاتساع واتخذ أبعاداً أخرى منها التوتر الاجتماعي بين أبناء القبيلة الواحدة، وما أحدثه من شرخ في النسيج القبلي، حتى وصل الأمر إلى حد السب والشتم على مواقع التواصل المرئية، والمسموعة، كل ذلك ساهم في زيادة الانقسام الداخلي بين ما يعرف (بالشرق والغرب) داخل الوطن الليبي الواحد، حتى أن المجال الثقافي والرياضي، والتعليمي لم يسلم من هذا الانقسام، وتفاقم الأمر في أغلب المجالات التنافسية التي زادت من حدة الصراع؛ وهنا نعول على أمرين متلازمين في التربية والتنشئة التي تُعد الأساس لتكوين الهوية الوطنية وهما:

**أولاً: الأسرة (اللبنة الأولى)**

توجد الكثير من السلبيات التي اخترقت كيان الأسرة الليبية، ولعل أكبر هذه السلبيات القنوات الفضائية (كما أسلفنا الذكر) والتي يمكن الاستفادة منها كوسيلة لزيادة المعلومات والاتصال بالعالم الخارجي لكنها في الوقت نفسه، وبسبب ضعف الإنتاج البرامجي العربي الذي يستنسخ ويقلد الأخر -دون رؤية نقدية لما يتوجب

---

[41]- عاطف العراقي، العقل والتنوير في الفكر العربي والمعاصر، مرجع سابق، ص9.

[42]- منقول بتصرف: المختار عمر برطشة، 2020 م، أزمة الهوية الوطنية في ليبيا وانعكاساتها على الاستقرار السياسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية العدد (29)، ليبيا، الجزء2، 2020م يونيو، ص 537.

أخذه وما يتوجب تركه - هذا الضعف دفع بالأسرة وافرادها إلى الاتجاه نحو مشاهدة الفنون الأوربية، مما أدى إلى حدوث آثار سلبية على الأسرة التي عجزت هي الأخرى عن تنظيم داخلها.

كل هذا قاد الأسرة إلى الانحراف، والتقليد الأعمى ويستوقفني هنا مفهوم التقليد الأعمى الذي يحتاج أن نستبدله بتفكير واعي ناقد يرفض ما يخالف عقيدته وثقافته وهويته، ويعزز ما يحفظ له كيانه، وقيمته كفرد في المجتمع. فالتقليد الأعمى لا يفرز شيئا سوى التبعية والهيمنة. وفي المقابل يؤدي التفكير الناقد دوره في تكوين الأسرة، والإبقاء على هويتها بحيث تحرص على ضرورة إيجاد قنوات تُقدم مناهج ومضامين هادفة نضمن معها بقاء الهُوية الوطنية، وكذلك استخدام الرؤية النقدية للابتعاد عن كل ما يُروّج لتحميل مضامين هدامة تخدم أغراض معينة. ومن الأدوار الذي نعول عليها داخل الأسرة: مراقبة الأسرة لما تبثه هذه القنوات؛ لحماية أبنائها، وهذا يتطلب تنظيم أوقات أفرادها، والتحكم في نسبة المشاهدة لديهم، ولا ننسى التركيز على دور العبادة في التصدي لكل الظواهر السلبية الغريبة والمغتربة، والتي تحاول التغلغل فينا على مستوى الأسرة، وهي آخذة في الاتساع والانتشار على مستوى المجتمع عن طريق مضامين برامجها المختلفة. ونذكر من ذلك (على سبيل المثال لا الحصر) الاختراق الثقافي الذي أحدثته المسلسلات والبرامج الأوربية المدبلجة، والتي تأثر بها العديد من الشباب داخل مجتمعنا الليبي، والتي زاد الإقبال عليها في الأونة الأخيرة، إذ حملت معها مضامين خارجية وافدة، لها مردود على الهُوية والمواطنة، نتج عنها عدم الشعور بالانتماء، والسعي وراء الهجرة وان كانت غير شرعية.

لذا يجب أن يتوجه اهتمام الأسرة إلى موضوع التوعية بقيمة الهُوية والمواطنة، وغرس ذلك في عقول الأجيال، بصورة موازية ومكملة لجهد مؤسسات التنشئة والتعليم في ليبيا التي عليها أن تضع خططاً مدروسة، وبرامج إعلامية دينية، وثقافية واجتماعية. يُسلط فيها الضوء على أهمية الهُوية الوطنية للشعب الليبي، فهي مسؤولية تضامنية تتطلب أن تتضافر فيها الجهود لتحقيق أعلى قدر من الوعي.

**ثانياً: دور مؤسسات التنشئة في المجتمع الليبي**

تعتبر مؤسسات المجتمع المدني، ومؤسسات التعليم الأساسي والعالي القنوات التي يتم من خلالها نقل القيم، والمعتقدات، والأفكار، والمبادئ إلى الأجيال المتلاحقة، كما تنمي فيهم كل الأنماط الاجتماعية للتعايش الحر سلوكياً ونفسياً. فمهمة هذه المؤسسات عظيمة؛ لما لها من دور كبير وفاعل، فالمدرسة، والجامعة، وكامل المؤسسات المختلفة بالدولة يجب أن ترسخ في ابنائها قيم المواطنة، والحفاظ على الهُوية التي هي الركيزة الأساسية في بناء الشخصية الليبية.

انطلاقاً من هذه النقطة التي تعد مقوما من مقومات البنى الأساسية في الأسرة والدولة، وما يقع على عاتق هذه المؤسسات من تحصين الأجيال ضد المهددات الخارجية، والمظاهر السلوكية الوافدة. لهذا تكمن مهمة هذه المؤسسات في الحفاظ على الثقافة الاجتماعية والسياسية والفكرية، وعلى كافة الأصعدة، فعلى مؤسسات الدولة الليبية أن تكثف جهودها لخلق إنسان نموذجي، قادر على انتقاد واقعه، واتباع ما يساعد على التعايش فيه. لذا يجب دعم أواصر الهُوية الوطنية، من خلال تحصين المواطنين بكل السبل والوسائل، لتفويت الفرصة على الغزاة، وحفظ حياة شبابنا الليبي وحفظ تفكيره، وتحريره من المخططات الاستعمارية الجديدة. فنحن في حاجة ماسة إلى فهم دقيق لعملية التنشئة الاجتماعية، من حيث طبيعتها والعوامل المؤثرة فيها، وكذلك الاتجاهات والمعايير والأدوار الاجتماعية، التي يمكن أكسباها للطفل وتقويتها، وتعديلها، وتغيرها فيه. وذلك يتم عن طريق تضمين الدراسات النقدية في المؤسسات التعليمية، وكذلك الدورات التثقفية والتوعوية لدراسة الظواهر غير المألوفة في مجتمعنا الليبي، والتي قد لا تستوقف أحداً في العادة، وتعمل على تخزين الكثير من أنماط الهيمنة والخنوع.

**ثالثاً: دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية**

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية التطبيع والاندماج الاجتماعي. تلك العملية التي يكتسب الفرد أثناءها السلوك الاجتماعي الذي اصطلحت عليه الجماعة من الطفولة حتى الشيخوخة مع الاهتمام بتأثير الأسرة والمدرسة والمجتمع[43]. والفرد في نموه منذ الميلاد تطرأ عليه تغيرات جوهرية تشمل جوانب الشخصية جميعها، فهو ينمو جسميا وفسيولوجيا، وينمو عقليا، وانفعاليا، واجتماعيا، و يتعلم المهارات العقلية والمعرفية اللازمة لشئون الحياة اليومية، ويتعلم قواعد الأمن والسلامة، كما يكوّن مهارات ومفاهيم عقلية ضرورية للمواطنة الصالحة، ويوسع خبراته العقلية المعرفية بأكبر قدر مستطاع، ويستغل إمكاناته العقلية إلى أقصى الحدود الممكنة [44]. فلو استطعنا أن نستغل العقل وإمكاناته لتقديم برامج وإنتاجات تعمل على جذب العقل الليبي، ستكون خطوة في الاتجاه الصحيح، ومحاولة مستمرة لجذب العقل الليبي ليستجيب لمتطلبات وطموحات الليبيين.

نحن لا ننكر دور مراكز التحفيظ لدينا في ليبيا، التي أنجبت الكثير من حفاظ كتاب الله، إنها أخرجت عدداً قياسياً مقارنة بعدد السكان بالنسبة لباقي الدول العربية الإسلامية الأخرى لكن لا يزال ينقصنا العمل بكتاب الله، ومراعاة الوازع الديني في نفوسنا، وتأصيله في أخلاقنا. فلا يجب أن نغتر بعدد حاملي كتاب الله في بلدنا؛

[43]- حامد عبد السلام زهران، 1948م، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتاب، القاهرة، ط(5)، ص11.
[44]- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، مرجع سابق، ص 15.

بل يجب أن نجتهد أيضا في أن نحقق التوازن من خلال العمل بكتاب الله ؛ للقضاء على ظواهر الانحراف التي أظهرتها الأحداث الأخيرة، منها على سبيل المثال: ما يشيع بين طلاب الجامعات، والنخب في التعدي على الطالبات والتحرش بهن من خلال ما يعرف بوسائل التواصل (الخاص)، أو ما يبث عن طريق المقاطع والمشاهد المرئية، وقد وصلت أحياناً إلى حد ارتكاب جرائم في حق الإنسانية. ومن هنا أفرزت التحديات آثاراً سلبية بشكل أو بآخر في تكوين الشخصية الفردية العدائية، أو غير المتزنة، بما تحمله من أفكار هدامة. وهو ما يجعلنا نرفع أصواتنا بضرورة تدخل الدولة الليبية بكل مؤسساتها لتوعية المجتمع، واطلاعه على الدور الخطير الذي تلعبه وسائل التواصل الإعلامية الحديثة والمتطورة لهدم الهُوية الوطنية في العقل الليبي. لذا يجب أن يتجه الاهتمام لدى مواطنينا وحكوماتنا نحو تنمية الشخصية الليبية، وإلى زيادة الوعي بأن كثيراً من مشكلات المواطن يمكن حلها، إذا نظرنا إليها على أنها ناشئة عن عيوب في تكوين شخصيتنا العربية[45]. ويجب كذلك توجيه أنظار المسؤولين وأصحاب القرار في مؤسسات التنشئة التعليمية في ليبيا إلى العمل على تغذية طلابها بشكل مكثف لحماية الهُوية الليبية، وذلك بتظافر جهود كل النُخب، وبيوت الخبرة، والقيادات الفكرية في ليبيا.

**الخاتمة:**

أن نملك مهارات التفكير الناقد يعني أننا نملك مفاتيح مهمة للفعالية مع التطور، الذي يسهم في بناء الشخصية الوطنية المتزنة التي تحقق الإبقاء على دعم روح المواطنة الليبية أمام المخاطر التي تتعدى على هُوية المواطن الليبي من ثقافات متنوعة، ومعلومات مغلوطة ومختلطة، وأصبحت تطغى على كثير من المشاهد في مجتمعنا الليبي. ويجب كذلك أن نحذر من أقوى سلاح تستخدمه التيارات الفكرية الغربية المعاصرة، والمعادية للإسلام، وهو الإعلام، ووسائله المختلفة وما يحمل في طياته من مهددات، ومخاطر انتشرت بوسائل عديدة ووأساليب متنوعة لم يعد بالإمكان الاستغناء عنها، إلا أنه يجب التعامل معها بالعقل الناقد الذي يعمل ككونترول يقوم بتنقيح ما يعرض عليه فيحذف، ويتلقى حسب ما تقتضيه حاجتنا، وما يتفق مع هُويتنا وعُروبتنا. فنحن لا نريد نتائج نظرية تبقى حبيسة الكتب والمكاتب وإنما نطمح لنتائج واقعية تثبت مدى وعينا، وحرصنا على التمسك بالارتباط المصيري الذي يربطنا بهويتنا ووطنيتنا وقوميتنا وإنسانيتنا، ويفرض علينا قبل كل شيء الوعي، والإدراك بالوطن، والهُوية الليبية. إن هدم الهُوية و المواطنة يؤدي إلى هدم البعد القيمي في العقل الليبي، فخير ما يمكن أن ندركه الآن النتائج العملية لنخرج بمخرج يضمن لنا بقائهما.

[45]- مصيونة أمحمد الفاخري، فلسفة التربية الأخلاقية وديناميكيتها، مرجع سابق، ص10.

**النتائج والتوصيات:**

- إمداد المناهج التعلمية بمهارات التفكير الناقد بهدف تطوير العقل الليبي، وابعاده عن التفكير التقليدي.
- إدراج مقرر التفكير الناقد في كل المراحل التأسيسية في التعليم، بحيث يُدرب الطفل في تنشئته على الروح الفكرية النقدية في التعامل مع كل المتغيرات والمؤثرات الخارجية.
- تكثيف الحملات التوعوية بأهمية التفكير الناقد لعامة الناس بكافة المؤسسات المدنية للحد من سيطرة هُوية أخرى على الهوية الوطنية الليبية.
- أن مسؤولية الحفاظ على الهُوية، وضمان ثباتها يحتاج إلى بنية عقلية ناضجة قادرة على مواجهة تحديات عصرنا.
- اجتهاد النُخب، والمفكرين لإيجاد ثقافة مضادة تُحصن العقل، والهُوية الوطنية، والدينية.

**المراجع:**


- القرآن الكريم.

**المعاجم والموسوعات:**

- ابن منظور، 1999م، لسان العرب: دار إحياء التراث، بيروت، (ط3).
- ابن منظور، 2004 م، لسان العرب، المجلد (15)، ط(3)، دراما دار للطباعة والنشر.
- المعجم الوسيط, 2014م، مجمع اللغة العربية، دار النشر، مكتبة الشروق الدولية، (ط4).
- مجمع اللغة العربية، 2004م، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (ط4)، مادة "وطن".

**المصادر:**

- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، رسائل الجاحظ "مناقب الترك" تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، المجلد الأول، دار الجيل، بيروت، ط(1).
- آلك فشر، 2009م، التفكير الناقد، ت: ياسر العيننى، دار السيد للنشر، الرياض، ط(1).
- ثائر رحيم كاظم، 2009م، العولمة، والهوية، والمواطنة مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد(1).
- جميل صليبا، 1982م، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2.
- حامد عبد السلام زهران، 1948م، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتاب، القاهرة، ط(5).
- حمدي مهران، 2012م، المواطنة، والمواطن في الفكر السياسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (ط1).
- صالح سعد النيان، 2020م، المعرفة في الفكر الفلسفي، دار النشر جين، البيضاء، ليبيا، ط(1).
- عابد الجابري، 1998م، العولمة، والهوية الثقافية، المجلد (20)، العدد (228)، المصدر: المستقبل العربي، بيروت.
- عاطف العرقي، 1998م، العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، دار قباء للتوزيع والنشر، القاهرة.
- عبد الحسين شعبان، 2000م، الهوية، والمواطنة، دار النشر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(2).
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، 1858م، مقدمة ابن خلدون، مكتبة لبنان، بيروت، ج2.

- عبد الرزاق الراوي، 2013م، كتاب الهوية في الثقافة، والخطاب، دار النشر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ط (1).
- عصام زكريا جميل، 2012م، المنطق، والتفكير الناقد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط (1).
- عزمي طه السيد، 2008م، علم الثقافة الاسلامية، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط (1).
- علي سامي الحلاق، 2007م، اللغة، والتفكير الناقد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط (1).
- علي سامي النشار، 2000م، المنطق الصوري من أرسطو حتى عصرنا الحاضر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- علي محمد الصلابي، 2014م، المواطنة، والوطن في الدولة الحديثة المسلمة، دار أبن كثير، ط(1).
- ليلة علي، 2007م. المجتمع المدني العربي قضايا المواطنة، وحقوق الإنسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط(1).
- محمد عبد السلام، 2020، التفكير الناقد، دراسة نظرية، وتطبيقات عربية، وعالمية، دار النشر، مكتبة النور.
- مصيونة أمحمد الفاخري، 2021م، فلسفة التربية الأخلاقية وديناميكيتها، دار الجابر للطباعة والنشر، بنغازي، ط(1).
- نجيب الحصادي،2020م، حساسات التفكير الناقد، دار النشر مكتبة الكون، طرابلس، القاهرة، ط(1).

**المجلات العلمية:**

- ابن داود العربي، إشكالية الهوية، والعولمة الثقافية، مجلة العلوم الإنسانية، والاجتماعية، الملتقى الدولي الأول، عدد خاص، الجزائر.
- المختار عمر برطشة، 2020 م، أزمة الهوية الوطنية في ليبيا، وانعكاساتها على الاستقرار السياسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية العدد (29)، ليبيا الجزء الثاني.